مبارك وساط

# أستقبلُ راقصاتٍ شَهيرات
# مِثلَ
# الجوكندة

(مختارات شِعْريّة)

منشورات

حِبْر

مبارك وساط

# أستقبل راقصات شهيرات مثل

# الجوكندة

(مختارات شِعريَّة)

منشورات
حِبْر

# هذا الكتاب:

**يتضمّن مختارات شعريّة من المجموعات التي صَدرتْ، حتّى الآن، للشّاعر المغربيّ مبارك وساط، مضافةً إليها قصائد له من بين تلك التي لمْ تُنشَرْ بعدُ في مجموعة. فهذه أنطولوجيا شَخْصِيّة، إذ إنّ الشاعر نفسَه هو الذي اختار القصائد المُقَدَّمة في هذا الكتاب.**

---

ومجموعات الشّاعر، حتّى يومنا، هي:

- على دَرَج المياه العميقة (طبعة أولى، دار توبقال، الدّار البيضاء، 1990).

- ثلاث مجموعات في كتاب شعري صدر عن منشورات عُكاظ في سنة 2001، وهي: 1 -على دَرج المياه العميقة (صيغة راجع المؤلّف طبعتها التجريبية قبل الطّبع النهائيّ)، 2-محفوفاً بأرخبيلات، 3-راية الهواء (متوالية شِعْرِيّة).

4-مجموعة رابعة: فراشة من هيدروجين (دار النهضة العربية-بيروت، 2008).

5-مجموعة خامسة: رَجُل يبتسم للعصافير (منشورات الجمل، بيروت-يغداد، 2010).

6-مجموعة سادسة: عُيونٌ طالما سافرتْ (منشورات بيت الشِّعر بالمغرب، المغرب، 2017).

وقد صدرت للشاعر مجموعة شعرية بالفرنسية والعربية، تحت عنوان: "بَرقٌ في غابة"(دار المنار، باريس).

---

وقد وُلِد مبارك وساط سنة 1955، وهو مترجِم أيْضاَ. من ترجماته: شذرات من سِفْرِ تَكوينٍ مَنْسِيّ، لعبد اللطيف اللعبيّ، نادجا، لأندري بريتون، التحوّل، لفرانتس كافكا، الأبديّة تبحث عن ساعة يد، قصائد مختارة لأندري بريتون...

---

# مُختارات من:

# على دَرَج المياه العميقة

# على رصيف مقهى

لا أحدَ من بينهمْ كان في حاجة إلى الألم.

أهازيجُ غامضة تتردّد في حناياهم، فيما تهبُّ أنفاس متقطِّعة من ناحية التِّلال. عصافيرُ شاردة تسقط بين الفينة والأخرى في عبِّ المرأة ذات الوجه المُطرَّز بالثُّقوب. والغيوم الورديَّة الثلاث، والتي هي قوارب مُتْرَعة بِنُخاع الكواكب، يدفعها النَّسيم نحوَ شطآنٍ آهلةٍ بالأجنّة. الجنديُّ الوافد عبر مفاوز موحشة، يُطارد في المرآة كلبًا أجْرب. أحدهم يحاول أن يقول شيئا من دون أن يحرِّك شفتيه. أحدهم يتحسَّسُ عظاماً تتفتَّت في جيبه. صبيٌّ مجنَّح يتوقَّف قليلا عند كلِّ منضدة خلفها رجلٌ جريح. ثم يُفرد أصابعه المخمليّة قبل أن يختفي في الضَّباب الكثيف. والأعمى، النّائي عن الآخرين، يَغوص في مياه وحشته، أهدابُه مسبلة على صرخات وبروق...

لا أحد من بينهم كان في حاجة إلى الألم.

# خيمةُ الغبـار

من جديد، بدأتِ القوارب الكاسرة تخيط بمِسلّاتِها أفواهَ الأنهار، بينما الخريف ينسج علامات استفهام على وجوه العابرين! نبوءاتٌ وخِيمة أستشفُّها في عيني يمامةٍ تُحتضر، وأخبارٌ غامضة تبثُّها إذاعة الزَّبد عن مصيري الأكثر غموضاً. أحياناً، أُقيم مع سَدنة العشب في ظلِّ أساطيرَ سامقة، بينما تتوغَّلُ أنفاسي في فَجوة الجبل العميقة، أو أمضي إلى كهفٍ بعيد، أرى فيه العلماءَ المُقْعَدين يَفكُّون ألغازَ سَيْر الحقول. كنتُ، أيضاً، أُجالسُ صديقي الذي يشتغل بمنجم الدُّموع السَّوداء، لنستغربَ قليلاً من طُفولة النَّيازك وبُكاء الحجر اليتيم. لكنَّ القنَّاصين الدُّهاة كمنُوا له ذات مساءٍ في خَيمة الغبار. ومُذَّاكَ، صرتُ أتطلَّع إلى كلِّ هَيْكلٍ عَظمِيٍّ يُدندن في حانة، وكلِّ ميِّتٍ يُحمحم تحت نافذتي، إلى أن نسيتُ ملامحه كلِّيةً. بقيتْ دماءُ السَّنَاجب تَزورني. وساعي بريد المَرارة، الذي كان يحملُ لي رسائلَ على هيئة سلاسل، وبطاقاتِ بريد تسعُلُ فيها الغربان... وطلع حرّاثو الأمواج الخِصبة، من أكواخهم في عمق المحيط، ليقوموا بمسيرة احتجاج من ساحة الألم العظيم حتى مقرِّ إقامة العَظْم المتلألئ. جاء

الرُّعاة العميان أيضاً. وحُروف الجرّ المعذّبة. جاء حرّاس قوس قزح. وأناسٌ مختلفون، وغلاييُنٌ سُودٌ كأنها من شُيوخُ بني حام... ومضتِ الحشود على ضِفَّة النّار، ضاربةً في أرض الوحشة الزَّرقاء... في ذلك الوقت، كانت الأزقّة الخلفيَّة تتلوّى على أعناق الذِّئاب، والمطرُ، مُشعَّثاً، يتقافز على إيقاع قَرْعِ الطُّبول.

# تفاصيـل الدَّهشـة

الأنوارُ شاحبةٌ على سيقان الليلك

الخطى مُحطَّمة على بلاط الشوارع

الأمواج ساكنةٌ في جنبات الحدائق

لا شيء تغيَّر

بعد أن هجرتِ هذه النَّافذة

حيثُ يضحكُ العصفور

هذه الغرفة حيثُ نظرَتُك

ورنينُ أساورك

شالُك، وآهاتُك التي من بنفسَج

ما تزالُ منثورةً على الشّراشف

المكتظّة بأنفاسِك

وفوقَ المنضدة المبقّعة بالحِبر

حيث يُقهقه بوقاحة

تمثال بوذا المترهّل

للأسفِ لم أستطع أنْ أبدوَ يائساً

مثل نَشيدٍ ناضب مثل جدولٍ هرم

لأنَّ تفاصيلَ الدّهشة تمَّتْ خارج حياتي

لأنَّ أنْفاسي تتلعثمُ في العراء

فيما الثّلج يتساقط من سَقف الغرفة

ويلعب في حضني كطفل

لا شيء تغيّر

هيْنَمة الوزّال تَسري في المروج البعيدة

والسَّماء تنثُّ رذاذ الهذيان

وأنت تتخلَّصين من دمك وتجرين

بين أشجار الصّنوبر المريضة

وعلى الأرصفة التي تَغصّ

بعذاب الموسيقى.

كان قوسُ قزح يتزحلقُ على كَشْح هَضيم

والزَّبَدُ يكرّر أحلام المحيط

كانت أحلامكِ تتبعك

وأنت تتلذَّذين بالهمس وبالكلام

وفي منتصف العبارة تختفين

تاركةً طيفَك في المرآة

تاركةً همومك الصَّغيرة على عتبة الباب

وجهَك في بدايات النّهار

وثوانيَك الزَّرقاء

في قلب السّاعة الذهبي.

لا شيء تغيَّر

رعشتُكِ تنسرب في خروم الدَّنتيلا

خوفُك ينسدل على جبيني

وأنا أبتكرُ سيرةً لوردٍ عابر

قبل أن أضعَ يديّ على مفتاح العلاقة

ورأسي خارج رواقة البهجة

قبل أن أَغمس عينيّ في لعابِ الوسادة

المرصَّعة بنومك وعطرك

وأنصتَ لطحالب المستنقعات

وهي تنمو بين ضلوعي

في هذه الغرفة الكئيبة كابتسامة القتيل

حيث الوقت دائماً

منتصفُ الليل

# أماكن

في شارعٍ جانبيّ

وجهٌ أليف

يتكاثر في انتظاري

في ضاحية قريبة

قبيلةٌ تُقيم طقوسَ نَدمها

في ميدان المعركة

سقط ضحايا كثيرون

تحت حوافر الأصيل

في ذاكرتي

مدنٌ تهمي عليها أمطار وأحزان

في غابة ما

امرأة تقبل ذئباً كسيحاً

على رصيف مقهى

قَمرٌ ينزف

في سُرَّة ميت

على عتبة غابة

هياكلُ عظميَّة تضحك للنُّجوم

في كوخ مهجور

أنام متستِّراً على صيحتي.

# شُـرفـة

رنينُ عضلات الليل المعدنيّة، ضجيجُ النّهارات المُتقيِّحة، رصاصاتُ الليل والنّهار الطائشة، الرَّماد: ذاك ما تعرفه أيضا أفواهُنا. من هذه النُّقطة انطلقتُ. وها هي تتدحرج الآن نحو النُّقطة المجاورة، حيث جلس رجل بهيئة شحّاذ. أطلق وإبلاً من الشَّتائم، قاصداً لا أحدَ، ربَّما. شرب نشيداً من الدُّموع في أقداحٍ مَكسورة. بكى تحت شُرفةٍ تَأوي إليها امرأةٌ كانت حبيبتي. رَقَص على الجَمر، وعلى نغمات النّاي. وهي من شرفتها، ترعى قافلة التنهُّدات التي تحُجُّ إلى مَهبلها، وتمنحني عند اليقظة كأسَ نبيذ وعشب الأعماق... إنها تكرّر: "كتيبةُ جِراح تُدندن في ساحات قلبي."...

"على الشفاهِ أيضاً، تتفتَّح وُرود الدَّم في الفجر..."، تَهْذي جُمجمة في إحدى الحانات، فيما تُصْدر المومياءُ أوامرَ للقناني الفارغة بالتَّسكُّع في المزابل. حتّى إشعار آخر، يبقى كلُّ شيء هادئاً.

## مـُراودة

افتحي فمك قليلاً

وَلْتُوقِظْ أنفاسكِ عينيّ

من سُباتٍ أمنحه لطائر

ها أنذا أفتح ذراعيّ الآن

لأمنحَكِ نبْضَ الماء الحيّ

ظلُّكِ يجوب ضفافاً بعيدة

وظلِّي الذي يتبعه

سقط مُهشَّماً على إفريز الصَّباح

لكنَّ نيراني دائماً تدعوك

عليكِ بتلمُّس الجَمرة.

# حرائق

كَمْ جَهَدنا لنرسمَ البسماتِ على شفاهنا الكئيبة، وحاولنا أن نُنصت للضَّجة الخافتة في قعر الجرار، لأجنحةٍ تنتفض في كوابيسنا، وكثيراً ما جلسنا بين الخرائب، في الأماسي المنخورة بالحكايات الطّائشة، عيونُنا تترصَّد خُطى السَّاعات، وفي أفواهنا تنمو أغصان الليل المتقيّحة.

كم شُدِهْنا ونحن نسمع المياهَ تُدمدم، ونرى أقماراً معتوهة تسقط في أحبولة الألم، والعانسَ التي تنسج الرَّايات، والرُّعاة إذ ينطفئُون كشموعٍ في البرد.

كم ذَرفنا من دموعنا الخضراء، ونحن نسمع تلك الطفلة المشنوقة بحبال الأفق تُكرِّر كلَّ ليلة: "جميل من النُّجوم أن تكشف عن أسنانها الذَّهبية لعيون المسهَّدين. جميل من الثّلوج أن تقضي وقتها في أكفانِ صَمتها. جميلٌ من الفلوات أن تُلقِم أثداءها للمرضى اللامرئيين...."

أحيانا، ننسى كلَّ هذا. نجلب الحشائش وننثرُها عل الأرائك. بإبر الضَّوء نَخِزُ جِلد الغسق. نضع الكؤوس في الزّوايا. نُعَلِّق الكراسيّ إلى السَّقف.

نُوَقِّع خُطانا على شطحات نهرٍ مجنون. ثمَّ نَستكين، في انْتظار الحرائق الموعودة عند الفجر.

## خلف نافذتي...

خلف نافذتي المرصَّعة بالبروق

تقصفُ أجنحةُ الفجر

نُجيماتٍ وليدة

في الحُقول المُنهَكة

حيثُ تتناجى بُقَعُ دَمٍ وأزْهار

يرسم بحَّارٌ مسلوخ

أشرعةً ومجاذيفَ

على صفحة جلده المتهدِّل

ويُحَدِّق عرَّاف بعينيه الزّجاجيتين

في غُضون إلهٍ مُحنَّط

بينما يتدلَّى جنديٌّ باسماً

من المشنقة

أولئك أَسْلافي

وما عادوا يتعرَّفون عليَّ

لقد قَصُرَتْ قامتي حقّاً

بسبب الصّباحات الشّاحبة

التي تضغط على كاهِلِي

عند اليقظة

لستُ متوجِّساً من هذا

فما دام قلبُ المرآة ينبض

ثمَّة أملٌ كبير

في انبعاث الشِّفاه من رمادها

إذَّاكَ ستينَع القبل

وتستمتع عظام الموتى

بغناء النَّمل...

أتنصَّت لأشْجان موجةٍ يتيمة

بعد قليل أخرج للتّجوال

سيكون لركبتيَّ شكلُ شعلة

أنا لا يُرعبني لُعابُ الفوانيس

ولا سُعال الذِّئاب

خلف الواجهات الأنيقة

لكنْ أَخْبِروني

لماذا يتدثَّر المرضَى بمعزُوفة الرِّيح

وأين هي سُرَّة الصَّحراء

الحنجرة تنتظر لحظة نُضوج الصَّرخة

الجرادة تتأوَّه على قِمّة المدخنة

هنالك مفاجآت كثيرة في جنبات المدينة:

لقد شُرِع في صلب النّادل أمام المقهى

لقد تساقط ريشُ سنونو

على كتفيَّ الحالمتين

أنا رأيت ممرِّضِين عُراة

يُجلَدون داخل كهف

ومساءً يُوضَع في تابوتٍ من غبار

وزوجين سعيدين حقّاً

لهما ذرِّية من فلّين

وها أنت يا ذكرياتي

تتزحلقين

على ثلوجٍ من حَريرْ

# عصافيرُ سكْرى

ثمّة حانةٌ أُنادم فيها أشكالاً هُلاميَّة، تَرقبنا عيونٌ لموتَى، وهي لا تزال تنبِض، منسيَّةً في الكؤوس وعلى المناضد. زفيرُ السَّاعات ينكأُ جراحَ حكايات غامضة، بينما تبحث قطرةُ خمر وحيدة عن معنىً للحياة داخل حنجرة سكِّير. الجنود الذين حاربوا في السَّراديب وعلى أرصفة المقاهي يُصَوِّبون بنادقَهم إلى قلب تمثالٍ يترنَّح مُعربداً. والطِّفلةُ التي تَهْجع منذ لحظات، تحلم بعصافير سكرى تَنقرُ لسانَها الورديّ. على عتبة الباب، يقف شحَّاذٌ باسماً، فيما تتسكَّعُ روحُه بين صناديق القمامة، بحثاً عن قنانٍ فارغة. "أنتَ شجرة مأفونة، أنتَ غيمةٌ مُخَدَّرةُ الحواسّ، ذَرَّةُ رَمل تَبْكي في أعماق المُحيط..."، يقول النّادل المقنَّع للكهل الذي يعملُ ساعيَ بريد بين النّجوم. لكنّ هذا الأخير كان يغطسُ عمودَه الفقريّ في دَوْرَق من نبيذ بابل، ويُفكِّر في عذاب البشرية الذي يتمرأى في شاشة صمته العنيد.

أُعيدُ تكوين المشهد، فأرى وجهي مثقلاً بكلمات ذابلة. كلماتٍ، أنفاسي ستسحبُها خلفها إلى حيث ترتعش عظامُ البحر... لحظات وأمضي من شارع إلى شارعٍ يُطارد خيولاً غريبة، وهي تهرع نحو بَرارٍ مُدَثَّرة بِغَسق الكحول.

## بدأتْ هذه الثُّلوج تصدأ...

أقفُ تحت نافذةٍ تتردَّد خلفها شكاوَى عجزة ومتسوِّلين يتقاسمون خبز الملاحم القديمة. أقفُ تحت مطرٍ يقضم نهد عذراء تركض في مفازة العذاب، خلال هذا المساء الذي يرْفُل في فساتينَ من عوسج. طواحينُه تُفتِّت عظام الملائكة. وأنا الذي استهللتُ هذا الإعصار الجميل، لا أرى على شاشته إلا أقدامَ الموتى، مغروسةً في صناديق القمامة، تتشمّمها الذئاب... بدأتْ هذه الثلوج أيضاً تصدأ أمام عينيَّ اللتين كانتا يمامتين سجينتين، وجلدهُما أقزامٌ كانوا لا يغادرون بطونَ أمّهاتهم إلا خلال أعياد المجوس. نيرانُهمْ تتثاءب على وسادتِي كلَّ صباح. دموعهم تَصهل في محجريّ، فيما أصنع حماقات مشعّة من رماد الأيّام، وأترصّد أبواباً تُهرول بأقدام آدميَّة، منها سأدلفُ إلى مدن الماضي، مُنقسماً في جسوم كثيرة. قد يكون أحدها هذا الشحّاذ الذي يغفو في محارة بحجم خرائب عمره الطّويل. ومثلما يندلع شبقُ النار في قشّ صيف جميل، سيأخذني الحنين إلى ساحات مكتظّة بالمهالك، حيث عُميانٌ يَسْحَلون وجوهَهم المنطفئة، إلى مرافئَ تَرسو فيها سفن مُحمَّلة بقلوب الأرامل، إلى سريري الذي

أمضي إليه عبرَ جسور سبعة، تتمدّد على كلٍّ منها امرأةٌ تفتح لي ذراعين من غبار... وحين أصل إلى نقطة انطلاقي، أَضيعُ، نشيداً في فَم العاصفة.

مُختارات من:

محفوفاً بأرخبيلات...

# رَحـيـل

حينَ سالتْ على جبيني

دماءُ الغَسق

اعترتْنِي رعشةُ اللحظة العَمْياء

انسحبتْ يدايَ

مِنْ طُفولة الذَّهب

وبدأ وجهي يُسافر بلا كَلل

نحو مهابِّ الألم.

# هـامشٌ لصهـيل فنـار

هُنا، تَحت أهدابِكِ أيَّتها الرِّيح، وأنت تُفكِّكين دَواليبَ الظّهيرة، وتنثُرين المفاتيحَ على صَدْر الميِّت، حيث ينضُجُ الصَّمت، ثم يَنسَلُّ ثَخيناً إلى خياشيمنا.

تحت أهدابك، تخلَّصنا من خُطانا الفائضة عما تُحبِّذُه الطُّرقات، وَمِن الصَّدأ العالقِ بسجلَّات أنفاسنا. وَأَدْنا النَّغمات التي استخرجنا من عويل العربات، وتشمَّلْنا بنجيع الوقت. وإنْ لم نحضُرْ دفْن آخر نهار قتيل، فإنَّ أفواهنا تركتْ هامشاً لصهيل فَنارٍ يُضيءُ طريقَ المراثي. لم نكن قط أدْعياءَ إزاءَ مشاعر العنكبوت. نحصدُ سأم القمح، وبِكوابيسِ الينبوع نغتسل. وليس بيننا من أوقع الضَّغينة في قلب الصَّبيحَة التي مزَّقتْ نسيجَ سُهادِنا، نحنُ المُقْلِعِينَ عن معاقرة وسواس الخيول. وإذا السَّنابك تجتثُّ صفير الحدائق. واللقالق تقضم لحم الدّقائق. وأهدابُنا تقذف شررَ اللبلاب. يَاما صادقْنا السُّهُول المتأنقة. ياما تأوَّد قدُّ الغواية في أروقتنا, بين مرايانا وخطايانا. وحتَّى حين بدأت فراشات نزقة تُربِّي في آذاننا عواصفَ وليدة، نحن لم

نيأس. نرى إلى أرضنا الحيزبون، المُعلَّقة من شَعر عانتها بأسلاك لا مرئيَّة.

نتعلَّم منها الصَّبر.

لكن، قولي لنا أيتها الرِّيح الرّؤوم، ما الَّذي سنفعله بكل هذي الفصول

التي بدأت تندلق، كثيفةً، من عيوننا؟

## مُهِمّة

اِنْتخبتنِي الليالي

لأشتارَ عسلَ الكواكب

المُتدلِّية

فوق رؤوس

الغواني

لهذا "لا أذُوق النوم إلا غرارا".

# أَبَـديَّة

وكأَنَّها الأبديَّةُ

محمولةً بين مخالب نَسر:

كلُّ هذا البياض

المُدمَّى

وكأنِّي الامتدادُ الحيّ

لزوبعةٍ

غامضةِ النَّوايا

أَأَتلفَّعُ بِحرير الشَّمس

وأُصيخُ السَّمع لهذا النَّدى الذي يَمُوء

في أحداق

الخُزامى

أَأَحْدُو النسيم

إلى مسقط رأسه

خلال هذا النَّهار الأكثر خضرةً

من كارثة

أمْ أبقى في هذه الغرفة النَّظيفة

إلّا من دماء الأحد؟

## مَسرَّة

جاءها مخموراً

لِيَسرد على عينيها

نُعَاس اليمامة التي تَحيا

في صُندوق من طلّ

جاءها ولم يصدِّق

أنّه أفلت من أشْراك الرَّمل

وكمائنِ المصادفات

وأنَّ خيول الشَّوق المُجنَّحة

التي حملتْ على صهواتها قرىً عديدة

إلى مجرّات بعيدة

هي التي أنقذتْه

من فحيح المسافات

جاءها مخموراً

في عينيه

هلوسات السّهر والترحال...

ومعها أقام تحت مظلَّة الهديل

محفوفاً بأرخبيلات

ولم يحزنْ أبداً

لدى سماعِه الأغصانَ الجريحة

تلتفُّ على قلبه العاشق

هو الذي جاءها

مَخْموراً

# حاشيـة

أنفاسُ الصَّيف تتمثْرس خلف ضحكة الجبل

زَغبُ الضّوء يتناثر، حُمَّى من الألق

قريباً من الهاوية الزرقاء

ثمَّة بَحرٌ في سَمْت مَلك

حوله حاشيةٌ من الغَرقى

وجنودٌ يَخبُّون على الثُّلوج

يَخُوضون حرباً صغيرة

ضِدّ فيلقٍ من النَّوايا:

بِلا مبالاة، تَعبر الريح فوق المشهد.

## للشّتاء أسماؤه...

للشّتاء أسماؤه السّرّية

في ردني معطفه

تتخفَّى العنادل

الهاربةُ من دموع العدالة

وله أيضاً بيارقُه المرصعة

بهيْنَمَات قوس قزح يتيم

حين تُطلُّ شمسه العابثة

وَسْطَ سماءٍ

تُقامر مع أسلافنا

بعظام النّوارس وفضَّة الغيوم

ويُلْقي ضوؤُها خطبته التي

يسيل منها عرقُ الأبالسة

على آذان

نهرٍ لنا

نَنفضُ عنَّا نَقْع الكآبة

نتناسى الصَّباحات السّجينة

في قناني المروج

وتنتظر...

تنتظر أن تعودي إلى غرفنا

أنتِ يا ملائكةً

مِن مياه.

## رَقصـة

أَعْدَتني هذه الورقة بِحمَّاها

لا سبيلَ إلى الشِّفاء

من طقس هذه الأسنان

أَعْزَلُ أنا

حين مرَّ شهاب بنافذتي

لم يتركْ لي غير فُتاتٍ من نصائحه

ولأمةٍ كانت لأسلافه

سأتدرّع بها كماة الشتاء

وأُوغِل في العزف

على كمنجات

الغواية...

لكنْ ما الَّذي سأفعله الآن

وقد بدأ هيكلي العظميّ

يرقص بجانبي

على إيقاع القُشَعريرة؟

# كيْ لا ننسى

يَحْدث

إذا ابْتعد الأعمى

مخفوراً بهسيس الظلام

أن تنبثق من بؤبؤيه

عصافيرُ

بَرَّاقة

وأحياناً

إذْ تَنْفتِح عيون الطَّلِّ

تتقمَّص أزهارٌ

شفاهَ

الغواني

ومرَّةً

رأينا عرّافين

يسْمُلون عيون النّهار

وبغامض التَّعزيم

يَصنعُون من الرَّمادِ

ظلاماً

ومرّةً

فكَّرنا

في المصير الأسود

للطَّحالب الحمْقاء

فَنما قلقٌ كثيف

بأذقان أقزامٍ

يستعبدون المستنقعات

وأجراسَ أرواحنا

لكنْ

يتوجَّب نقشُ هذا

على آماقِ قوس قزح

كي لا ننسى

أنَّه يحدث

إذا ابتعد الأعمى...

# إِرث

كان صباحٌ يجوب الشّوارع

متمليّاً غُرفاً تَرقص في الضباب

وكنتُ هائماً أيضاً على همهمة الحصى

حواليَّ نيازكُ فقدتْ رُشْدها

على إثر صدمةٍ ما والعشبُ الميّتُ

يوجِّهُ سأمه عالياً إلى فمي

والحكايةُ التي تدبُّ على جبيني

لم تكن لترتاحَ في ظلِّ

رياحٍ هبَّتْ لتخلعَ عن الأشجار

شفاهها لكنَّ الصَّباح الصَّغير

كان يمشي رازحاً تحت صُراخ

أسنانِهِ وأنا جنْبَه...

وتفيَّأنا شجرةَ لوز

ضمَّدت بالآهاتِ جراحنا...

فجأةً سَرى حلمُ حياته الوجيزُ

في عروقي

جَدْولَ ضوءٍ

نَبَذتْه كلُّ الشموس

# أقبـل الفجـر

أخيراً،

أقبل الفجرُ جريحاً، وقد حرَّرَ أجنحتَه من أصفاد الخرافة. وقتها سالَ الفرح

قانياً من أنوفنا التي ما عادت تتعرَّفُ علينا.

لسنا وحدنا الحيارى!

# أَلَق

الطّفلة الغريبة التي كانتْ تحكي لنا

عن رفقتها لقمر وديع ألثغ

والتي مضتِ البارحة لتنامَ جنْب المدفأة

قائلةً إنَّ عناكبَ مدربَّة

تنسج من نُخاع الزَّمن

خُمُرا لإناث الزواحف

ما زالتْ بعدُ لم تستيقظ...

ذلك أنّها ليست في مكانها

فهي تتمدّد على شاطئ بعيد...

نمضي إليه لنرى:

ثمَّة قواربُ محملَّة بأمواجٍ حوامل

والطَّبيب المسؤول عن صحَّة الزبد

ما إنْ رآنا

حتَّى سارع إلى التخفِّي

تحت كثافة ظِلِّه...

وهي، هنالك، مشدودةُ الأصابع

على ورود الغيب النَّدِيَّة

وألسنةُ الموت تلعَق أجفانها...

ما يلتمع على جسدها

ليس برْقاً في حِداد

إنَّها الدُّموع السَّوداءُ لِريح

تأكل الطَّيْر

من رأسِها...

# مَصيــر

تلك العذراء البهيَّة

وَدُموعُها من حليب

كفَّاها مفتوحتان

لِضحك الأعشاب

وفي كلِّ صباح تلتقطُ مِزَق الأحلام

المتساقطة من أجفان الكواكب

وَتُخفيها في عيوننا

كلَّ مساء تكدّ، ونحن لا نزعجها

إنَّها تضفرُ أكاليلَ غاز

لِلَّذين من بيننا، خلسةً،

سيُصْلبون.

# بَدأَ المطرُ يفاجئني

على محفَّة الهذيان

تتمدَّد شقيقة الزَّبد

مذْ صُعِقتُ ببروق جسدها

مذ عشقتُ حدائقَها المعلَّقة

بضفائرها

بدأ المطر يُفاجئني كلَّما غفوت

لذا فأحلامي دَوْماً

حافلةٌ بأقواسِ قُزَح.

مختارات من

# رايــة الــهَواء

# العين

الكأسُ المُترَعة بمِلْح اللّيل

تجرّعْناها

أَسْرَعَ قليلاً من الحُمّى

ثُمَّ عَيْنُكِ التي تذْرو

بارود اً كثيفاً

على ألوانٍ كانتْ لِعيَنِي

ثمّة أقمارٌ

في فضاءِ بيتنا

تنبضُ وتضخّ دمًا

في شرايين الهواء

- «إنهنَّ كنَّ قلوباً ـ تقولين ـ

أيّامَ كانتْ سنابلُ الحُبّ

تُصيخُ لهذيان الشَّمس

وكانت تلك الشّجرة الجميلة

تطوف ببراري نومنا

بحثاً عن يمامة

كانتْ قدْ تَحَوّلتْ فجأة

إلى غمامة»

- «والآن،

إذْ سنرحل، فَلْتعلمِي

أنّ عيونَ المَها

هنَّ اللّواتي سيُسْعفننا

على الجِسر

الجسر الذي سنعبُرُه

أعلى قليلاً

من الحمَّى»

- «لا تَنْسَ

ما دُمنا سنرحل

أن تأخذَ السَّكاكين الذَّهَب

فثمّة في طريقنا

جبلٌ صامت

يَكنزُ أنفاسَ العصافير

ويرمي المُدْلِجين العُزّل

بِأَعْين

الجرائم»

- «اُنْظُري

إنها البَبَّغاوات

المُنْبَجسة من خُطاك

تُؤلّف منظومةً من خَرَز

عن صعوبات الكلام»

الرّقْصُ أسهلُ حقّاً

لكنّ قلبَ الموسيقَى

مُثْقلٌ بِمِلح الليل

والعازف؟

جاء أطبَّاءُ

مختصّون في العين

والكعب والحنجرة

قيّدُوهُ شنقُوهُ

بحبالٍ

صَوْتِيّة

قدماه تتدلّيانِ تتدلّيانْ

تنقبضانِ تنبسطانْ

إنهما تُدَوْزِنَانْ

أوتارَ

ريح

الصَّـبَا!

# أمام بـاب الحُبّ

أرضٌ وهّاجة

بِعذابات الحَجر، تَرفُّ عليها

أجنحةٌ بيضاء

خلال أصائلَ بيضاء

من هنالك جِئْت، ولمْ

يَكُنْ في طريقي من مُفاجآت

سوى أنَّ بِضع شُجيرات

كانتْ، أحياناً، من فَرْط الدَّهْشة

تتحوَّل إلى كمنجات

بينما عيْنُ الحلزون

تقتنص ببريقِها

ألوانَ نُمور حالِمة

أنفاسي كانت تتغلغل

في رئَـتَـي مساءٍ مُعَربد

وفي أثلام أرض المرايا

من حيث جئت، مخفوراً

بجوارحَ سبق أن سَفَّت

من طَمْي العدم...

والآن، افتحِي الباب

قبل نضوب النَّشيد

المتصاعد من أهدابي

افتحي بسرعة

فَدَمُ اللّيل بدأ يتعفَّن

والجوارح التي تَخْفرني

والتي هي روحُ العالَم

قد تمضي لتضيع

في أدغالِ

كوكبٍ

بعيدا!..

مختارات من

# رَجُل يبتسِم للعصافير

# مُنذ دهر

منذ دهر وصنَّارتي في الماء

ولَمْ أصطد سوى السّأم.

لا أرى غَيْرَ قوس قزحٍ ينزل

وبإبرٍ ذهبيَّة

يُطَرّزُ حواشي الأمواج

ولا أسمع سوى أنفي الذي يئزّ كَنحلة

كلما أفرغْتُ زِقّي.

ثمّ خَرَج نديمي المساء من البحر

وأَقْبل نحوي

حاملاً طَيَّ أجفانه

سَمَكاً كثيراً وفي كفّيه

مَحارُ طفولتي!

## مِرْوحة

اِبْـقَ في بيتك فلا جديد في الخارج

أتُرَاك تريدُ أن تَخرج لترى المجنون

يتأمَّل في غيمةٍ-مِرآةٍ

نِصْفَ وَجْهِهِ الأثيرِ لديه

أو لترميَ بحجر

الخذروفَ الخَرِف

الذي لا يكفُّ عن الدّوران

تحت أعمدة المصابيح

أمْ أنّك تريد أن تلتقط صورة أخيرة

لمِرْوحتِك المسكينة

التي تفكّكتْ عظامُها

بعْد أن لفظْتَها بلا رأفة

أيُّها القاسي

يا حفّارَ قبور القناني

هكذا تحدّثَ إليّ طيفُ أوفيليا

وأنا أمضي نحو الباب ومِنْ بعيد

يصِلُني هديلُ حمائمَ

مِن نَبيذ

# مقادير مجهولة

مَعَ الفجر جاءتْ من مغاوِرَ بالشاطئ

حِسَانٌ مُشاكسات

وبأنغام النّايات

شرعْنَ في تهييج أشجارِ

الشَّارعِ الكبير

في الصَّباح تَوَزّعَ في جنبات المدينة

أطفالٌ من مرجان

ليحرسوا باراتٍ يؤمّها عميانٌ

وخيولُهم

بعد الظهيرة كان من بيننا من أَغفى

في سينما مِيالِيسْ فيما كانتْ سَارَة مايْلز

في دَوْرِ ابنة رايَنْ تتلقّى الشّتائم

مذعورةً

بُعَيْدَ الغروب ظهرت أشْباحُ

درّاجاتنا القديمة

وبدافع الحنين اعترضتْ سُبلنا

في الليل ربّما تُوجَزُ المدينة

هل حقّاً ستُصبح

في حجم قبضة اليد

بعد أن عشنا فيها طويلاً

كمقاديرَ مجهولة

في مُعادلات الرّيح

والليالي

## من نصائحِ جدّي ومأثور أقواله

- لا تأبهْ لهمْ إذا

وضعوا عظامكَ تحت المراقبة

أَخْفِ الأجراس في الأعشاش

رُصَّ أحلامك في الأقداح

دُسَّ الكهرباء في الأحجار

فلن يعثروا ضدّك

على دليل

- لا تخرج في منتصف ليالي الجليد

إِذِ المقاهي وحدها تجوس الشوارع

والعسس مُغلَقو الأبواب

ولا تَبِعْ حذاءك القديم

أُتْركْه حتّى تعود من سفرك

واسكُنْ فيه

- إذا رأيتَ الجرادَ يغزو رئات الرَّاقصات

وَزُكِمت الغُرَفُ وعزّ الدّواء

إذا رأيتَ مجنوناً يَلفّ صرختَه حول ساعده

وأُنثى من طحالب يضاجعها غريق

فاعلمْ أنّها حربٌ جديدة

تتهيأ في الخَفاء

- لا تُسافر أبداً

إذا أضربَ ربابنةُ البرق

وسرَّعتِ الأرضُ دورانها

لتُدَوِّخ النّمل

وتمّ استنساخُ الرّيح

فهذه كلُّها من علائم النّحس

- لا تَبِع القناني الفارغة

إذا كان ينبعثُ منها الشّخير

واتّبعْ نصيحةَ أبي حيّان

فلا تنم إلا وقُربَ رأسِك حجر

أو حَجَران

- إذا اقتربتْ منك نملة

ورأيتَ في عينيها صُفرة

وسمعتَ صرير مفاصلها

فاعلمْ أنّها لا محالة هالكة

وإذا رأيتَ الدموع

التي تتهادى على الأعشاب

قد سارعتْ إلى دخول

غيرانها

فاعلم أنها توجّستْ من خطاك

إيّاكَ ومشية العسكر

- ولا تترك قطّ أنفاسك الاحتياطية

في مُتناول غَيْرك

- إذا اندسّت السّجائر في شَقّ

حائط

لا تَشُقَّ عليها

لا تجعلْها تخرج من مخبئها

مرغمةً

اِمضِ لتتجوّل بعض الوقت

وإذا مررتَ جنب جدولِ لُعاب

فحاذر أن تطأه بقدمك

اعلمْ أنه تسلَّل من سجنٍ للشّفاه

واسألْ عن بيت المُهندس الذي

اكتشف آبار نفط

في جمجمته

إنّه عَمُّك

الذي أنجبتْهُ لي امرأة

من الماضي السَّحيق

تعرّفتُ إليها وهي بعدُ

محمّلةٌ بموج الشّمال

في سنة زحفت فيها الكهوف

على المدن

وصارتْ، رحمها الله، في آخر

أيّامها

تَسُوخُ، شيئا فشيئا، في الثّلج

المتهاطل من ذاكرتها

إلى أن اختفتْ

كُلّية

- إذا كنتَ في سفر

ووجدتَ نفسكَ على مشارف

غابة

وأظهرتْ لك نبتة قُرّاص

لسانها

فاعلم أنّ المثلَّثاتِ قاطعةَ الطّريق

تكمنُ للعابرين خلف الأشجار

تأهّبْ

أَخْرِجْ قوسَك

اختَرِ الأصلبَ من سِهامك

وإذا خلّصتَ النّاس من ذلك الخطر

ربحتَ بطاقة سفر إلى جزيرة

جميلة وَشَبِقة

تجدها في استقبالك

عاريةً

# ربّما يكون لي حصان

الفتاة التي أحببتُ وأنا في السّادسة عشرة

في البداية، لم تُبادلني عواطفي

حزنتُ ثمّ نسيتُها

لم أعدْ أترصَّدُها كلَّ أحد أمام بيت أبيها

حيثُ تصنعُ الكعك

تَدْرُس حياة الجراد

وتُنْصت إلى أغاني الحاجَّة الحَمْداويَّة

يحلُّ الأحد، فأمضي إلى البار ثمّ

إلى ملعب كرة القدم لتشجيع الفريق الذي أُناصره

إنّه دينامو البَرْنُوصي

أو إلى البار ثمّ رأساً إلى غرفة مريم

التي تبيعُ لي الهوى بالدَّين وفي المُقابل

أُطفئُ الضّوء قبل أن أستلقيَ في سريرها

وأتخيّل أنّها الفتاة التي أحببت

وأنا في السّادسة عشرة

بعد وقتٍ سئمْتُ لُعبة التَّخيل تلك وأصبحتُ أضاجِعُ

مريم باعتبارها مريم فحسب

التي تروي لي قصّة حبّ والِدها العسكري وأمِّها

التي قضتْ طفولتها في اليونان

ثمّ في غِمد سيفِ أبيها

لكنّ القصص، كما لا يخفى عليكم، لا تنتهي

كلَّ يوم أحد

تخرج الفتاة التي أحببتُ وأنا في السّادسة عشرة

تمضي لتُحيّيَ البحر، ثُمَّ لشراء

مجلّة متخصّصة في وصفات الكعك الجديدة

تتمشَّى على قارعة الطريق تتلقّى

التّهنئة من رجل يجوب البلاد بحثاً

عن امرأة أضاعها في مرفأ

يقول الرجل إنه يهنّئها بمناسبة حصولها على البكالوريا

لكنّي لم أجتز بعدُ الامتحانات، تقول هي

فيخجل الرّجل البدين

وينصرف ويقوم بجولة في رِواقٍ بالسّوق

الأسبوعيِّ تباعُ فيهِ النَّاياتُ بحثاً

عن ناي مسحور

يُمكنه أن يعزف لك تلقائيّاً سيمفونيةً

أو موسيقا أوبرا

لموتسارت لهايدن لِمِنْدِلْزُونْ

أن يُغنّيَ لك أغنية

للحاجَّة الحَمْداويَّة

أما هي فتنصرف لتذرعَ أرجاء

جناح من السوق الأسبوعي نفسه

خاصٍّ ببَاعَةِ الوجوه القديمة ومُساعديهم

من الكيميائين العميان

بحثاً عن وجه شهرزاد ووجه حسناء

من تمبوكتو

ووجه غريتا غاربو

في البداية، لم أكن أعرفُ أنّها

تستعدُّ للتنكّر، كنتُ وقتها

في الملعب أَصْفِرُ بأقصى جهدي

ضِدَّ الحَكم الذي أَعلن عن ركلة جزاء

ضدّ دينامو البرنوصي

لكنّي هذا الصَّباح، غِبَّ ليلة اعتقدتُ أنّي

قضيْتُها مع واحدةٍ من أجمل فتيات تمبوكتو

اكتشفتُ أنَّ ضجيعتي

لم تكن سوى مارية، الفتاة التي أحببت وأنا

في السّادسة عشرة

لقد استعملتْ قناعاً إذنْ

بعد سنة من الآن سنتخاصم

بعد سنة من الآن ستكثُر الدّرّاجات النّاريّة على

الطّريق التي تؤدّي إلى بِرْكَة عَوّا

بعد سنة من الآن ستتلوّى هضبةٌ من مَغص شديد

والمداخنُ ستتطوّعُ لتحمُّل آلام الولادة

عن الفتيات الحوامل

بعد سنة بعد اثنتين بعد ثلاث

سأكون في غابة بعيدة

لن أكون قد أصبحتُ فهداً أو ببغاء

سنجاباً أو زرافة أو عظاية

لكنْ ستُقيم معي امرأة في كوخ في غابة

أو في كوخ على شَفا حوض تعيش فيه تماسيح

صغيرة مسالمة تستطيعُ حتّى أن

تُصافحكَ بأطراف أذنابِها

هنالك قرب تمبوكتو

سيكون الطّقسُ حارّاً جِدّاً

وربّما سيكون لي حصانٌ عظامُه

من شرار

حصان هادئ جدّاً روحُه

من مسحوق الذّهب

ربّما تكون لي درّاجة

تستطيع بصرير عجلاتها أن تَصنع السّراب

الذي يجتذب عابرين كثيرين

هكذا سيُمكنني أن أستقبل في كوخي

راقِصاتٍ شهيراتٍ

مثل الجوكندة

وأبطالاً في القفز العُلوي

مثل حمُّورابي

بعد سنة بعد اثنتين بعد ثلاث

فثمّة أنفاسٌ باردة تنطلق الآن من عينَيّ

وتُصبح ضبابة كبيرة تجدُها في المساء

قد حاصرت القطارات والأرامل

لذا أسارع بِالوقوف وربّما بعد دقيقة

بعد دقيقتين بعد ثلاث

سأغادر هذه الغُرفة

في طريقي إلى بار مارسيل سيردان، ألتقي

زميلتي في العمل، لا أستطيعُ تذكّر اسمِها، لكنّها

تدعوني لمعرض لوحاتها

الذي تقيمه في عُرض البحر، بحثاً

عن التّميّز

لا أستطيعُ أن أسبح حتّى هناك، أقول لها

فتُجيب: لقدْ أصبتُ شَعْرَكَ

برصاصاتي

وفي شارع الإربيانة، أجد أعزّ أصدقائي

في انتظاري نمضي لنشرب معا إنّه ذو سُلطة

في البحر إنّه

ينشغل الآن بتوجيه سِهام البارانويا إلى

أيائل مُتَخفّية خلف عجلات السّيّارات

فيما أفكّر في مُستقبلي

وما سأفعل وما سيحدُثُ لي

بعد سنة بعد سنتين

بعد ثلاث

# قرب السَّناجب

العشيقة غائبة منذ أيام

الغرفة نائمة منذ ساعات

مُطوّقةً بسياج من لُعاب جدرانها وأنتَ أمام الباب

ولا تَدْخُل

وكُنْتَ وقفتَ أمام باب المسرح طويلاً

ولم تدخل ثم جاءك الخبر

بأنَّ الممثِّل القصير الذي كنت تنوي

أنْ تُجْرِيَ معه حواراً لصحيفتك

اختفى مِنْ علَى الخشبة بعد أن تهشّمتْ أوفيليا

وتناثرتْ قِطعَ زجاج

قالوا إنَّ لِلْمُمثل القصير أنفاً من الهمهمات

قالوا إذا أُغْمِيَ ثانية على الشَّفَق

سيَظهر من جديد

الموتى ساكنو القناني

ويهطل المطر

وتبرز تجاعيد الحلزون الهرم

ليس لازماً أن تكون هاملت لتشفق على أوفيليا

ولا داعي لأن تركلَ الباب بعنف

من أجل أن تُوقظَ الغرفة

وإن جاءتْك من الدَّاخل أصواتُ ارتطام الرُّوبوطات

فمعلوم أنها تنبثق

من رواية الخيال العلمي

المفتوحة على المنضدة

قُرب قطرة الحبرِ المَهيبة

وأجراسِ النّحو التي ترنّ

على رأس كلّ ساعة

لا تنسَ أن تكتبَ إلى الغائـبة

ياه! إنك تتطلّع إلى الأشجار

ياه! كمِ السّهر طويل على الأغصان

وفي مدفن الألوان النّافقة

ياه! في الأعالي غيومٌ من السّلوفان

تُخشخش في الريح الباردة

لا داعي لأن تركل الباب

يحدث أن تنام الغرف

أن يتناثر أحدهم شظايا

أن تفرَّ امرأة من تعاسة رجل

ومع ذلك تستمرّ الأرض في تلميع شعرها

اِمْضِ بروح المتشرِّد التي تتقمصك

واقْضِ الليل في واحد من جراح الغابة

قرب السَّناجب الهاربة

من الغِيـتُّوات

# رسالة

لا تقلقي فأنا لستُ تعيساً في هذه الأيام قضيتُ ليلتي الماضية في كَنَفِ الغابة حواليَّ فضاءٌ مدهش تتماوج فيه أنفاسُ السَّناجب وقبل لحظة أمكنني أخيراً الدّخول إلى الغرفة أتطلّعُ من النّافذة فأرى الفجرَ كما عرفناه يتقدّم على قدميه القديمتين يتصفّح مُسَوَّدة اليوم القادم يُدخل بعض التّعديلات ربّما على كمّية الأمطار المُتوقَّعة في الظّهيرة هذا أمر مستعجَل فقبل أيّام شُوهِد النّوتية وهم يُهدّدون القطرة التي أفاضت النّهر

لا تقلقي فالكلمات التي تحيا في رئتيّ آمنة كُلِّية والدّموع النّائمة على كتف الجدار قبالتي تفوح منها رائحة الدّموع مِذْوَدُ الدّراجة أيضا مملوء وخالي الذي كان سيُعْدَم لكثرة حروف العِلّة في اسمه عَفَوْا عنه في آخر لحظة وكان منزعجاً من عطل طَالَ أنفَه لكنَّ حاله تحسَّنتْ بعد أنْ قُرِعتْ في كتفيه دفوف العافية

ساعاتُ هذا الصّباح متساويةُ الطّول لم تسقُط ولا ريشة بين فكّي الجمرة المتربِّصة ببُغاثِ الطّير

كلّ هذا وأنا أفتقدك بالأمس مضيتُ نحو مكتب البريد في طريقي قابلتُ الرّجل-المسمار سرّني كثيرا أنّه لم يَصدأْ كما ادّعى بعضُهم ورأيتُ الباعة المتجوّلين مصطفين في طابور طويل يَحْدِجون السّحب بنظراتٍ رهيبة

حين وصلتُ كان السّعاة يوزّعون التّلغرامات بالتّساوي على فقراء المدينة واحدٌ منهم هَمَسَ في أذنِي اِبْتَسِمْ العالمُ جميل وكلُّ شيء سيمفونية تاسعة وأراد أن يعطيَني تلغراما لكنّ يديّ كانتا متشابكتين خلف ظهري فيا لساعي البريد الطّيب

كلّ هذا وأنا أفتقدك ودميتك اللعوب لم تَعُد تحشرُ خَطْمَها في سُرّتها كما أنّي أعتني كثيرا بالألوان الخمسة التي هي أطفال اللوحة المعلّقة في غرفتنا وحتّى أثناء النّوم أحتفظ تحت القناع بابتسامتي

لا تقلقي أنتظركِ في هذه الغرفةِ المُعتمرةِ طاقيةً من حَبَب

## جَدّ

على أقدامهمْ التي مشَّطت شَعر الحقول جاؤوا

من كابوس القبيلة كانوا قد نبشُوا دموعاً

ليستعملوها في أيام الحداد السَّبعة

كانوا من عشيرة يشترك أبناؤها دوماً

في نفس الأحلام

في الليلة الفائتة رأوا في المنام أنَّهم حلازين

لم يستغربوا الرؤيا

رغم أنّ الفصل لم يكن

شتاءً

من مستودع للأموات تُحْفظ فيه جثث إلى أن

يحضرَ الأهل لدفنها، سَرَقوا

جُثَّة صديقهم

غطسوها ثلاثاً في بُحَيْرَة

نقلوها في عربة من شارع إلى آخر

وفي الطّابق الرابع للملهاة

أجلسوا الصّديق على أريكة في البلكون

مُوَلّين وجهَه شطر المَسْبَح الذي يبدو، من عل،

كأنّه غير واقعي

وفي الآن نفسه، بيِّنَ المعالم

عينا الصّديق مُوَجَّهتان إلى أسفل

كأنَّما هو، أيضاً، يتملّى بخضرة الماء

بمرأى أجساد غضّة

لإناثٍ يَحْقُـنّ صُدورهنّ

بِقليلٍ من وَهَج الأصيل

الثّلاثة شربُوا في صحة الصّديق

لم يـثْـنِـهم عن ذلك علمُهُم أنّه ميت

بل إنّهم وضعوا أمامه كأساً

وهو لا يدري كم ساعة مرَّت على موته

لكنه يُدرك أنَّ مُجالسيه

نثروا على وجهه أحلاماً بيضاء

كانوا قد اشتروها – للمناسبة- من سُوق ليْليّ

يذكر أنهم ألبسوه ثياباً

القميصُ جميل حقّاً

لقد نَسجتْه بأسنانها عاقر

كانت قد تبنّت كُوسَاةً ونحلتين

قبل أن تتيه في الحقول، مُلوِّحة للفراغ

بجدائل تعود إلى أيام

طفولتها

يَذكر آخِرَ مرّة دخل فيها بيتَه

وكَيْف فوجئ إذ لاحظ أنّ الأبواب

أصبحتْ من عجين

وكيف أقلع -أمام عينيه-

الموقدُ بجمراته المشتعلة

ودوّم طويلاً في المطبخ الذي

كان، هو، قد زيّن جدرانه

ببلاطات اقتلعها

من قبور

ما كان أحدٌ، بعدُ، ليزورَها

لكنه، الآن، لا يستشفّ جنب المَسبح

إلا أشكالاً هلامية

فيما جلساؤه يتحدَّثون عن خُودٍ حِسان

يدغدغ ظهورهنّ النّسيم

عن قطراتِ ماء خضراء

تلتمع على أرومة نهْد

فكيف لميّت أن يبصر حتّى

وإن كانتْ ثمّة عين

تُوَشّي جيب قميصه المُطرّز

حتى وإن كان حديثَ عهد بالموت

وكانت العينُ نَجلاء

حتى وإن كان في آخر جلساته

على سَطح الأرض

حتى وإنْ، بين عينيه، كان يَعْبُرُ تابوت

ينوء

بحمولته من الأجراس

كيف لميِّت ألا يتّخذ بين جلسائه

هيئةَ جبلٍ مَنفي في جزيرة

ستجيئه عصافير

من أغصانٍ في جرح

وبمعاولَ كانت، لسنين،

ذاتَ سطوة في المستنقعات

تكسُر أحجاره وعِظامه

في البرد أغفى الأصدقاء

ويَدا الميّت موضوعتان

على قوس قُزح

انداح، بأناةٍ، من كأسه

لكن، كيف لميْت

ألّا يضجرَ بين الأحياء

والقرقعةُ على أشَدّها في نوم جلسائه

والمساءُ قد ظهرتْ حَدَبَته

وثمّة أطفال أطلّوا من باب موارب

ثم فرّوا خائفين

كانوا قد استيقظوا ثم ناموا

ثم استيقظوا، وأخيراً قرروا أنَّهُم

استمتعوا برفقته

كما لنْ يتسنّى لأحدٍ أن يفعل

وأنه آن الأوان ليتخلّصوا منه

تحت جنح الظلام

أيدفنونه، إذاً، في حديقة،

أيرمونه في البحر؟

لا، بل يُمَدّدونه أمام باب

مستودع الأموات

فالبحث عنه، لا شكّ، جارٍ

هذا ما اقترح أكبرُهم

الذي كان قد هيأ له شاهدة قبر

سيتركها تحت رأسِه

إن مرّ أحدٌ بقبره، سيقرأ على تلك الشاهدة:

- هُنا ينام نومته الأبديّة

البحّارُ الذي قضى ليلته الثّانية كَمَيّت

ساهراً، يتملّى بأشكال سبّاحات مشيقات

من الطَّابق الرابع للملهاة

الذي كان، أيضا، شاعراً

وكتبَ أبياته الأخيرة

في مدح إبرة بقيتْ، بإخلاص،

ترفو ثيابه إلى أن ابيضّت

عيناها

الذي غطس في أعماق بِحَار

ظَهَر في أحلام سفن

شاركَ في تشييد مدنٍ

من مَرجان واشتغل

بمهنٍ أخرى

الذي، في طفولته،

أنقذَ أراغنَ

كانت، من فرط كآبتِها، قد ارتمتْ

في الآبار

الذي لم يَحضُرْ قطُّ

إعدامَ شمعة، وجَابَ قُرىً بعيدة

على صَهوة حصانٍ من

اللوبياء، ثم مات

غريقاً، بعد أن صارع الرّبْو

زَمناً، وفي آخرِ

أيّامه، طال قذالُه، لعكوفه

زمناً على صُنْع سروج

من ثلوج، وأصبحتْ له غُنَّةٌ

من ينفثُ الكلمات

عبر أنفه الزّجاجي، وشفتان تشتغلان

بالكهرباء

مختارات من

# عُيونٌ طالَما سافرتْ

# قُبيْل الغروب

قُبيلَ الغُرُوب، نَفَضَت الحُقُولُ

عَن ظُهورِها قُطعانَ المَواشي، فلم تَذَرْ

لها من أثر

هكذا، لم يَبْقَ في جنباتها الذّهبيّةِ الأعشاب

سوى بعضِ الثُّغاء الخفيف

الرُّعاةُ عادوا حَزَانَى

وأرادوا الاخْتِفاءَ عن الأنظَار

فدَلَفُوا إلى الزَّرائب

وَحْدَهُ الرَّاعي الأحمق بَقِيَ واقفاً

وسط القرية

مُتهلِّلاً، يَعزف للرّيح

مُتَرَجِّياً

أن تجلبَ بناتِها شبيهاتِ الدِّبَبة

حتَّى يرتعبَ منهنَّ الأطفال

المتحلِّقون من حوله

فيضحكَ

من قفزاتِهمْ وصياحِهمْ

ومِنْ رَفْعِهِمْ لعقائرهم

بنداءِ أمّهاتِهمْ

## يا مُقَشَّرةَ الدِّهان

تُزْعِجُني قَصَّةُ شَعْرك يا نجمة

إنّ لها رائحةَ نعجة مُبلَّلة

لا أحبُّكَ يا قمرَ هذه الليلة

فأنت لا تتفوّه إلّا

بكلماتٍ نابية

ومِنْ حُسْنِ الحظِّ أن الذين يحشِمُون بِشِدّة

هُمْ إِمَّا صُمّ

أو يَغُطّون في نَوْمِهِمْ

أمّا أنتِ يا مُقَشَّرةَ الدِّهان

يا ذاتَ الجدرانِ المُصابة بِالهذيان الرُّعاشيّ

يا عجوزاً تُثْلِجُ مِن أَخْمَصِ قَدَمَيْهَا

يا غُرْفَتِي

فَجَوْفُك بَحْرٌ بَارِد

ماؤه من دُخان سجائري ونظراتِ

تعجُّبي

وأنا، متى استطعتُ أن أُغَافل

بَرْدَك، سأهجُرُك وأمضي

منزلقاً على ابتساماتِ حمائمَ صديقَة

حتّى هونولولو

ففي هونولووووولو

القدّاحاتُ الجَميلات

تُبَادِر للرّقص للوافد الجديد

والمدافئ الكهربائيّة تعيش صامِدةً

وتموت واقفةً

وإذا شعرتَ بالغربة في هونولووووووولو

يمكنُك، بحركةٍ من رأسك

أنْ تُحيِّيَ نفسك، فتشعرَ بدفءٍ

إنسانيٍّ عظيم!

حقّاً، قد يحدثُ في هونولوووولو

أَنْ أبِيتَ ليلةً ما في فندق ناقصِ التّدفئة

فتُطِلَّ عليّ القُشَعْريرَة بعينيها اللمَّاعَتَيْن

من النّافذة التي أَكُون قدْ نسيتُ

إغلاقها جيِّداً

لكنْ سَرْعانَ ما ستلْحَقْنَ بي

يا حليفاتي الحمائم

وبضرباتٍ من مناقيركنَّ ذواتِ

البأس والبسمات

تُكَبّدن عصابات البرد اللعين

أفدحَ الخَسائر

## بَحْر أسود

قارِبُ النّوم يَمْخُر بي عُبابَ بحرٍ أَسْودَ يُبْعدني

عنْ غُرفتي في هذه الليلة الشَّتْوية

الموجُ العاتي يتقاذفُه

سيوفُ البرقِ، أيضاً، تَهْوِي

في الأعالِي، بلا رحْمة

وخَوفي يتركّز في حاجبيّ!

لكنْ، فوق رأسي، أنصافُ الطُّيُور

التي بقيتْ حيَّةً بِمُعْجزة

تَضعُ رُضّعاً في مُهود

وصَرَخاتِهِمْ في صناديق البَرْد

وَتَعِدُني بحياةٍ جَديدة

حَالَمَا أستيقظ

مِن هذا الحُلم العنيف!

# نُنزِل قِرْميداً من العربة

نُنزِل قِرْميداً من العربة فيما

على كُومَةِ الرَّمل القريبة

نَحلةٌ عَطُوف تُزْجِي لنا نصائحَ بالأزيز

إنْ نُطبِّقْها تَتقوَّ عضلاتُنا بالتّأكيد

فنحنُ نريدُ أنْ نبنيَ مأوىً للعجوز

الَّتِي مرَّتْ بنا مترنّحةً في الشّتاء الماضي

واختفتْ في حَقْل العَدَس

مرّتْ بنا آهِ مرْرْرْ...رَتْ

مرّت بنا مرْرْرر...رَتْ

هكذا غَنّينا لكِ يا من ترنّحْتِ في الشّتاء الماضي

وأنتَ أيّها الماضي، يا مُقَوَّسَ الظَّهْرِ، يا أَدْرَدُ

لقدْ أَتْرعْنا جيوبُكَ

صُوَراً وأسْنانَ حليب

وأنتِ يا مُدَرِّسةً كان رأسُها

يُؤلِمُها في الأصباح خاصَّةً واسْمُها

كان يبدأ بالجيم

تَرَكْنا لكِ ما تيسّر من هَأْهآت

ونَمَشاً كثيراً

كلُّ نمشة لها مفعولُ حبّة أسبرين

كِرامٌ نحن وأطفال وسعداء

ولم نعد مغروسين بين نباتات الحُرَّيقة

كما كُنَّا عليهِ في واحدٍ من أوائل

أحلامي

نمدحكِ يا مُترنّحة وكم ودِدْنا

لو دغدغنا إبطك الأيمن

فقد عَرَفْنا أنَّكِ جدّتُنا بعد أن سمعناك ذاتَ ليلة

تُعلّمين رُضّعاً كيف يصطادون شُهباً بالشِّباك

وقيل إنّكِ ذاتَ سهرة كنت تُربّتين

على حدبة الرّاقصة

فيما كنّا نَنفخُ في الهَرْمونيكات

نَنفخُ ونَنْفخ

نَنفخ فيها لتبقَى مُعزَّزةً ولا تَصْدأ

فَيُلْقَى بها في غياهب السّجون

ننفخ ونُغَنّي: مرّتْ بنا آه مرْرْرْ...رَتْ

مرّتْ بنا مرْرْرْ...رَتْ

وهكذا إلى أنْ ننتهي من البناء وَوَقْتَها

سنُقيم حَفْلاً

يَحضره الباعة المتجوّلون والمساكين

وراقصة حدباء

وابنُ السّبيل والمُدَرّسة بِصُداعها

النّصفيّ

وكذلك الوجودُ والعدم

والتّلميذات اللطيفات اللواتي فتحنَ قلوبهنّ

لِلسَّيَّارات الصّغيرة الحزينة

التي وُلِدتْ

بلا عجلات

# قَدَمٌ مَنْسِيَّة

كان عندي كتابٌ نادر: "كيف تُصبح بَرمائياً في خمسة أيام". أبي أحرقه لأنّه، حسبما قال، لم يكن يحبّ السّلاحف وأشباهها.

إثْرَها، غادرتُ البيت مُغْضباً، وتخفّيت شهوراً في تنهيدة امرأة.

ثمّ نفختُ في صَبيحة فصيّرتُها بالوناً لعبتُ به زمناً وعثرتُ على أقدم طُحلب في التّاريخ تحت قدمٍ قديمة جدّا ومنسيّةٍ في حقل، فتركتُها تَركل ذلك البالون وتُنجِز المراوغات.

قلتُ في نفسي لعلّها قدمُ أبينا آدم التي كان ركل بها تفّاحةَ الجنة ليُصَيّرها بالوناً وهي حقّاً تستحقّ أن تكون قدمَ لاعب كرة قدم مُحترف يُهاجم ويُسَجّل الإصابات في الجنّة.

ثمّ عُدت إلى البيت. وفي اليوم نفسه أصلحتُ ذاتَ البين مع العائلة.

أَدْهَشَنِي، فَحَسْب، أنّ القِطّ لم يَبْقَ منه غيرُ شَبحه.

وفي الفجر المُوالي، كنتُ في وسط المدينة مع الذين يَقْذفون أحجاراً صوبَ حارس السّاحة التي خصّصَتْها الحكومة لانتحارِ المجانين.

هذه المغامرات، لِعِلْمكم، حُفِظتْ في أرشيف الرّيح، هنالك خلف جبال الهملايا.

# أنا الآن

أنا الآن في قرية جدّي

أقتعد كرسيّاً صغيراً تحت حائط الجامع القديم الذي

يتدلّى حواليه صبّار كثير

وثمّة كلاب تقضي قيلولتها في ظلّ كومة تِبن

فيما تتحادثُ جماعة المقامرين تحت شجرة

خلف الجامع

بأصواتٍ خافتة ومتوتّرة

عن عبد السّلام بائع الكَيف

وكيف اعتقله الدَّرك في الصّباح

وكيف كانت الومضات تنثالُ من شَيب رأسِه

قويّةً

وتتناثر في الجوّ متأجِّجةً

أتُرَى كان ذلك من خوفٍ شديد

أمْ من حِقْدٍ عنيف

أمّا أنا فكنتُ أيضاً قدْ قامرتُ ذات صباح

بحصانٍ صغير

وسَاعَتَها كانتْ أنغامُ جازٍ تتنامى

في أذني اليمنى

وفي اليُسْرى كان يُسْمَعُ حدّادون

وهم ينهالون بمطارقهم على

حَدَواتٍ وخسرتُ حصاني

الصّغير

وها أنا تحت حائط هذا الجامع القديم

أتابع قراءة رواية

روايةٍ رهيبةٍ عجيبٍ أَمْرُهَا

ياه!

ما أكثر قتلاها

# المُعلَّمة تُزَيِّنُ بدْلتها

المُعلَّمة تُزَيِّنُ بدْلتها بِطَائر

في حجرة الدّرس تقول إنّ المعادلات

اختفتْ فجأةً من رأسها حين كانت تَسبح

في البحر

تلميذةٌ قالتْ: ربّما أكلتْها الأسماك

فقلنا جميعا: ربّما، رُبّما

بِمُشْطٍ طويلٍ حَمَلتْهُ إليها الرِّيح

تَفْرُقُ المعلّمة شَعْرَها من الوسط

لكنَّ من يصفّق منّا أكثر ممَّا يَجب

سيُحْكَمُ عليه بالطّواف سبعَ مرَّات

حول المجنون النَّائم

قُرْبَ محطَّة البنزين

## غريبٌ أَمرُ هذا الحقل...

غريبٌ أمر هذا الحقل

إنّه متجهّمٌ على الدّوام

وهذا النّاي

الذي ليسَ سوى بلعوم مديد

وهذي البئر التي حفرناها

أيامَ المُراهقة

وها قد وَلَدتْ قُمصانا ووزّعتْها

على حاملي الدّلاء الهائمين

غريبٌ أمر هذي المداخن

المهجورة على السّطوح

حين ننظر إليها بعيوننا التي طالما

سافرتْ

رفقة لقالق

الطّفولة

# حانةٌ

حانةٌ تُطِلّ على بركة صغيرة، قُرْبَهَا

شجرةٌ تُحسن حمايةَ الطِّفل

الذي يصِلُ راكضاً من جهة البحر

يُطارده خُفَّا أبيه الغاضب

حانةٌ، يحدثُ أن أُطِلَّ من نافذتها على الليل

وهو يَمضي نحو الشّاطئ

مُرَدّداً أغنية بحّار

حانةٌ، يحدثُ أن أُطِلَّ من نافذتها والظّلام يهبط

فأرى العصفور الذي كان يلعب

الذي كان يَجذبُ تلّةً من ذيلها

يُسْدِلُ ستائرَ الحقل

ويأمر الأعشاب بالنّوم

إنّها حانة القرصان، البعيدة

عن صخب المدينة

حيث، هانِئاً

يشيخُ النّبيذ

في مسامّي!

# خِرفان الليل

جوّ سبتمبر الجميل يتشرّبُ الضوضاء القادمة من وسط المدينة. من نافذة بيتي، تبدو لي سفينةٌ تُبْحِر. إنّ لها شَكْلَ قوقعةٍ كبيرة. والهضبة القريبة، كَأَنّها أضحتْ شفّافة، فهي لا تحجبُ عنّي البحر. لقد اقتعدَ سطحَها العَالي الشّخصُ طويلُ الشَّعر نفسُه، وهاهو يقوم، كالمعتاد، بحركات توحي بأنّه يَقطف غيماتٍ ثمّ يعصُرها وبعدها يُطلقُها لتعود إلى الفضاء مثلما حمائم. حين التقيتُه ذاتَ ليلة، قبل سنة، فوق صخرة تشرف على البحر، قال لي إنّه يُسمّي نفسه سيزيف الجديد. كانت الأمواج لحظتَها خرفاناً مُلْتهبة المزاج، ما تنفكّ تهرب، ثمّ تعود، ثمّ تهرب من جديد. وكان كلٌّ منّا قد جاء إلى ذلك المكان، بقنّينة نبيذه وكأسِه، ليَشْرَبَ ويُشْهِدَ البحْرَ على انْتِشائه... وتحادثْنَا، فاكتشفْنا أنّنا، في بدايات الشّباب، درسْنا في نفسِ الثّانويّة، خلال نفْسِ السّنواتِ، وفي وقت ما، أحببنا نفس الفتاة.

كُلُّ تلك المُصادفات، والخِرفان المائيّة لا تَني تركُض وتركُض... ثُغاؤها يتشرَّبُه جوُّ سبتمبر الجميل.

# كنتُ لِلتَّوِّ قدْ وَصَلْت

كُنْتُ للتّوّ قَدْ وَصَلْتُ إلى تلك المدينة

التي لم أَزُرْها منذ صيف قديم

وكان جرَّاحونَ على شاطِئِها

يُخْرِجون من جُمْجمةِ غريقٍ جِيءَ بِه من عُمْق اليَمّ

طحالبَ وقواقع

وبِمُجرَّد ما يُعيدونَها إلى البحر

يَقِفُ ذلك الغريق ويُكْمل إغلاقَ جُمجمته

بيديه

ويُحَيِّي الحُضُورَ بإشارة

بَعْدَها يأتي مُمَرِّضُونَ بغريقٍ جديد ويُمَدِّدُونه

على سرير الجراحة

فيما يكونُ سابقُهُ قد رَكِبَ

درَّاجته النَّاريَّة ومَضَى نحو بيته

حَيّاً ولكنْ بِلا لَحْمٍ يَكْسُو عِظامَه،

بلا لحْمٍ ولكنْ بِرُوح مَرِحة...

أصدقاؤه سيحتفلونَ بعودته هذا المساء

وسيلاحظون أنّ لَهُ في الرّقصِ

هَزّةَ كتفٍ

لا تُضَاهَى

# وأنتِ بلباس البحر

ذات صباحٍ، وأنا بعدُ طالبٌ وفي الثّامنة عشرة

كنتُ في مقهى على الشاطئ

وكان ثمّة سبّاحون يدخلون إلى المياه متقافزين

شاعِرِينَ، ولا شكّ، بالرّعشة

وكنتُ أقرأ أخباراً في صحيفة

لكنْ سرعانَ ما استأثَرَتْ بانتباهي تَنُّورةٌ قادمة

فارغةً من صاحبتها

مُرْتَفِعةً عن الأرض وأطرافُها تهتزّ إذْ

يعبثُ بها النّسيم

وبَدَتْ لي

أثناءَ قُدُومِها مِنْ خلفِ تلّةٍ صغيرة

على الشّاطئ

أليفةً لعينيّ

مشدوهاً نهضتُ

ومضيتُ باتّجاه التّلة:

خلفَها، كانتِ الابتسامةُ العريضة

على وجهكِ وأنت بلباسِ

البحرِ، سَلْوى

لَم نكن، قبل تلك اللحظة، قد تبادلْنا غير نظراتٍ

في ردهة الكلّية

وأخرياتٍ بباب صيدليّة

وقلتِ: تنّورتي

أرسلتُها لتأتي بك أيُّها الخجول

وها هي الآن عائدةٌ

نحوي

## غريبٌ في تلك المدينة

كنتُ غريباً في تلك المدينة ولِذا

آثرتُ أنْ أَحْلِقَ شَعْرِي في المَحَلّ المُسَمَّى

"عند حَلَّاق الغُرباء"

أصبحتُ وصاحبَه، بمرور الأيّام، صديقَيْن

ومرّة أغلقَ مَحلَّه واختفى أيّاماً

وحين عاد، أهداني قنِّينةَ فودكا

قال إنّه جلبها لي من بلدة ما في رُوسيا

فقد سافر إليها خلال الأسبوع الأخير لأنَّ لَه

خالةً هناك

نَفَقَتْ لها نَعْجَات

ومضى لِيُعزِّيَها

ذلك كان من جميل المصادفات

ففي تلك الأيّامَ بالضّبط كنتُ قَدْ

بدأتُ أدرسُ الرُّوسِيّة

على يَدِ امرأة جميلة

امرأةٍ كانَ بمقدورها ألَّا تستقبل

الموسيقى بأذنيها إذا هي شاءتْ

وأن تَشُمّها شمّاً

كنتُ أمضي إلى مَحَلِّ صديقي من حين لآخر

وكان يحدُثُ أن يتسلَّلَ أمواتٌ

بين زبائنِهِ ليقُصَّ لهمْ شَعْرَهُمْ

وقد أخبرني بأنّ واحِداً منهم

كان في حياته عُضواً

في الأكاديمية الفرنسية

لَمْ يحدُثْ أن تحدَّث صديقي بأمرهمْ لأَحَدٍ غيري

ولا حَدَث أنْ تكلّمتُ عنهمْ إلَّا مع

نفسي

ولا ندري كيف نُمِيَ الخبرُ إلى البوليس

الذين عمدوا إلى دَسّ مُخبرين حول المقابر!

قبل أيّام كنّا، ثلاثتُنا، نتعشّى معاً

وبدا لي أَنَّ الحلَّاقَ صديقي

لو تزوّج من الأستاذة الجميلة

لَشكّلا أُسرةً سعيدة

ولأنجبا ولا شكّ أطفالاً

عجيبي الذّكاء

أمّا أنا فرَبُّ بيتٍ منذ سنين طوال

أستيقظُ باكراً في كلّ يومٍ وأمضي إلى الغابة

لأخطبَ في العصافير

وفي المساء، يحدث أن أَقضي أوقاتاً

في "حانة القرصان"

أو أمضي إلى السّاحل

لأتفقّد المغارات!

# بسبب أوراق ميّتة

كان ثمّة خفْقُ أَجنحة

يتناهى إليّ من حديقة تتمدّد فيها فتاة

على مصطبة

الفتاة كانت رفيقةً لي في قسم ما

بالابتدائيّ

وفي تلك الأيّام البعيدة، كانت قد أُصِيبت

بالنّحول بسبب أوراق ميّتة

سقطت من شجرة

على ركبتيها

ثُمّ التقيتُها بعد ذلك بزمن

في محطّة قِطار

وكانتْ تدخّن كثيرا

قالت يومَها إنّها في طور التّحوّل

إلى سيجارة ضخمة

سيجارة ذات فم وعينين

ذات أذنين ونهدين

وهي الآن على المصطبة

تبدو مديدةً وملفوفةً بالبياض كأنّها فعلاً

سيجارة ضخمة

فيما يتصاعد من ذاكرتها

دخان أبيض ورماديّ

ومع هذا، فلا داعي لأن نقلق

إنّها لا تزال من لحم ودم

على شفتيها ابتسامة

وتنظر إلى عصفور فوق سلك كهربائيّ

بعيد

# أسلاف

في هذا البيت، في زمن قديم، تطايَرَ شَرَارٌ كثير

من جَسَد جدّ، بعد أن رَطمَ رأسُه

بسقف قُبّعته

سكّانُ هذا البيت، من أجدادٍ أكثر قِدَماً

كانُوا شديدِي التّديّن

واتّخذوا إِلَهاً البُركانَ المقدَّسَ الذي

أصبح في مكانه الآن

قُرْنٌ كبير

أنا، خلال هذه الليلة، في هَذا البيْتِ نفسِه

أستمرُّ في كتابةِ تاريخ السُّلالة

فَيَدْلِفُ إلى غرفتي ناطقونَ باسْمِها من كلّ

العُصور

يتجمّعون في جانب من الغرفة، فتميلُ تحت ثِقَلهمْ

يركضون إلى الجانب الآخر، فيشعرون

أنّه يَمِيدُ بهم

وهكذا، أنا أُؤَرِّخ لهمْ

وَهُمْ يُمَرْجِحُونَنِي

## لا يُخِيفُنِي إِلَّا شيْءٌ واحِد

زُرْقَةُ هذا النَّجْم - وقد كان

صديقَ طفولتي

ولطالَما حرص على إضاءَة طريقي

أثْناءَ عودتي ليلاً من السّينما -

هِيَ بالتّأكيدِ مَرَضِيَّة

لقد سَاءَتْ حالتُه كثيرا

هذا ما أكَّده لي

طبيبٌ مُخْتَصّ في الجهاز التنفُّسِيّ

وعالِمُ فَلَك

وما هَمَسَتْ لي بِه امرأةٌ في بُسْتان

تبيّنَ لاحقاً للشُّرطة السّرّية أنَّها

إمّا زرقاءُ اليمَامَة شخصيّاً

أو من سُلالتِها...

الشّرْطة السِّرِّية!

يحدثُ أن يَحْدِجَنِي أفرادٌ منها

فَأَحْدِجُهُمْ

أنا لا آبهُ بهمْ

وفي هذه اللحْظَةِ، لا يُخِيفُنِي إِلَّا شيْءٌ واحِد:

أنْ يَهْوِيَ النَّجْم صديقي منذ الطُّفُولة

واهنَ القوَى على هذه الأرضِ الحزينة

فيما أبقى أنا واقفاً هُنا

غَيْر قادرٍ على أنْ أفْعَلَ مِنْ أجله

شيئاً

# كوميديا سوداء

هل تعتقدُ حَقّاً يا صديقي مِيرُو

أنّكَ سبقَ أن كُنتَ

بطَّةً بَرِّية في حيَاةٍ سَابِقَة؟

هل فِعْلا تُنَقِّبُ في ذاكرتكَ بَلْ حتّى

في مسامِّك لِتَجِدَ جواباً

عنْ تساؤُلك هذا؟

ثُمَّ بالله عَليك

مِنْ أين جاءتْك هذه الفكرةُ أَصْلاً؟

مِنْ كونكَ، حسبَما تقول، أصبحتَ تَرى

بِرَكاً كثيرة في أحلامك

وتسمعُ صوتَ البطّ فينتابُك حنِينٌ غريب

وتُثيرُ انتباهَكَ أيُّ ريشةٍ طائرة

مهما كانتْ واهية؟

لكنّك، بهذه الطّريقة، تُثيرُ القلق

في نفسي يا صديقي

وتجعلُنِي دائمَ الشُّرود

وتَمْنَعُ النّومَ عن جفوني

لأنِّي أصبحتُ، عند كلِّ غَفْوة،

أرى بنادقَ في الحُلم

ودخَاناً يتصاعدُ أمامي

وكلّما بدا لي موقدٌ

إلّا واستثارَ اهتمامي

وكلّما لمحتُ جَمْرةً

أو كومةَ أخشابٍ تَشْتَعِل

تسمّرتْ عليها عيناي...

فهلْ يا تُرى كنتُ في حياة آنفة

قَنّاصاً

وحدثَ أنْ قنصتُكَ وأنتَ بَطَّة

وَحَدَثَ أنْ طَهَوْتُ منك؟..

آه! إنّكَ تَجعلُنِي أتعذّب

آه! إنّي سأَبْكِي...

# يَغذُّ السّير في المرآة

يا لَتوتّر حاملِ المظلّة الشّاحبِ القادم بسرعة.

إنّه يحثُّ الخطى في اتِّجاهِ رجلٍ طويلٍ ومُحتقِنِ الوجنتين،

واقفٍ أمام مرآةٍ، شِبه نائم، ويُدخّن.

حاملُ المظلّة يزيدُ من سُرعته ويتذكَّر المرأة

التي كانتْ عشيقةَ محتقِنِ الوجنتين:

إنَّها مَاشَا الجميلة التي غرقت في ذلك البلد البعيد

وهي الآن قابعة ولا شكّ في قعر نهر الفولغا.

ويدندن الرّجل الطّويل المحتقن الوجنتين

بقصيدة كان قد كتبها عن موت عشيقته الرّوسيّة.

إنّه واقف أمام مرآة الحمّام، في بيته بكازبلانكا

يُدخّن ويَحلق ذقنه، ويرنو

إلى حامل المظلَّة الذي يغذُّ السّير نحوه في المرآة

والذي لم يكن إلا هو نفسه، قادماً

نحو نفسِه

من شتاءٍ روسِيٍّ قديم!

# حُلَفاء

لقدْ أُعلِنتْ علينا حربٌ شعواء
ولسنا الطّرف القويّ فيها!
وفي شوارع مدينتنا رُئِيَتْ تلميذات صغيرات
يتظاهرن بالمرح وصرخاتُهنّ
تحت رموشهنّ
والمغنّي الذي كان قد عوَّدَنا
على مَرَحه ودَنْدناته
انكمش في زاوية بزقاق مهجور
حيثُ بدأ يتتبّع هَلْوساتِ عِظامِه
كما لو كانت مشاهد
في شريط سينمائيّ!..
لكنْ جميلٌ أنْ يكونَ قد جاء لنجدتنا
هذا الفيلق من العميان
الذين يدخّنون وينفثون الدّخان
من عيونهم
وهذه البِركة التي يُقال إنّها
سليلةُ جبلِ جليدٍ مَهيب
جميل أن تكون قد وصلتْ كلُّ هذي الأجراس

وهذي السّمكة التي هي كُبرى

وزيرات البحر

هذه العجوز التي تظهر عادةً في نهاية كلّ خريف

لتكنس

الغابات

وهؤلاء الأطفال الشّجعان

الذين أنقذوا عصافير في بِيد...

فلكم نحن محظوظون

بحلفاء

من هذا القبيل!

## في هذه اللحظة بالضّبط

في هذه اللحظة بالضّبط، حسبتُ أنّي متّ

لكنّ روحي، التي، منذ دقائق،

غادرتْ، حقّاً، جسدي

لَمْ تلتحقْ بالسّماء، بل إنّها صعدتْ إلى قِمّة نخلة

أراها من نافذتي!

انْزِلي، أيّتها الرّوح القلقة،

انزِلي فوراً

وَعُودي إلى حيثُ كنتِ

هكذا تحدّثتُ إليها، ثمّ أَضَفْت:

هيّا انْزِلي،

كفاكِ عبثاً!

## أعزفُ على هَرْمونيكا خياليّة

غُيُومٌ داكنة تَسْري في الأعالي مُتَجَهِّمةً

كأنّما هي بِدورها مُتعبةٌ وضَجِرة

هذا ما قلته لنفسي وأنا أسيرُ في هذا الاتّجاه ثمّ

في ذاك

إنّي حائر، وهذا يَجعلني أضحكُ وأعزف على

هَرْمونيكا خياليّة

حقّاً كانتْ هنالك سهرةٌ على شاطئ المدينة الهادئ

لكنَّ ذاكَ كان البارحة

وحقّاً كان هنالك تمثال

يَنْحَتُ فلاَّحين وأبقاراً في قرية

لكنَّها قريةٌ تنأى دائما في الأصباح

عمّن يتّجه صوبها

وكثيرٌ من المدفونين فيها ماتوا

جرّاءَ سقوطهم عن سُطوح

لذا فأنا أُحرّكُ كتفِي السّاخنة

أغذّ السّير صَوْبَ الزّهرة التي اكتسبتْ شُهرةً

لديَّ بعد أن ترافقَ عِطْرُها وَقَلَقي

في طُرُقٍ وفي العديد

من محطَّات القطارات

سأجلس قليلاً قربك أيتها الزّهرة

مثلما يجلس إنسان قربَ قلبه

وأستعيد أصباحاً كنتُ قضيْتُها وأنا طفل

على شاطئ المدينة هذا الذي أرى الآن جانباً منه

هنالك خلف الأشجار

آه! في تلك الأيّام كانت الكلمة العليا

في هذا الشّاطئ

لجرادة

وقد انقلبتْ في السّنة الماضية

حوريّةَ بَحْر!

وفي انتظار الوصول إلى زهرتي، هذه نصيحةٌ منّي

إليكَ أيُّها العابرُ بقربي

إليكِ أيَّتُها العابرةُ جنبي

لا يَدلِفَنْ أَحدٌ منكما إلى هذي الحديقة المتوحّشة

التي هي الآن قُبالتي

إن شاء ألا يُكْسَرَ له ضلع أو يَلتمعَ دَمٌ

على جبينه

ففي جنباتِها عِشْنا زمناً شقاوةَ طفولتنا

نتحارب بسيوف من صُنعنا

وفي فترات الهدنة نَصْفِر مُقَلِّدين موسيقى

بعض أفلام الويسترن ثمّ نبدأ

في تصويب أحجار إلى أيٍّ منّا

كان يقبلُ أن يَعتليَ شجرةً ويتقمَّصَ

شخصيَّةَ غُراب

كبرنا الآن طبعاً لكنّ أحجارَنا ما تزال

على نَزَقها

أما كلّ ذاك الصَّفير المُنغّم الذي كنّا نَصدح به

فلا أعرف في أيٍّ من أصقاع الأرض

تلتقطهُ الآن آذان

ولا في أيّ البلاد يُطفئ شموعاً

أو تحسِبُه كلابٌ سائبة

مُوَجَّهاً إليْها

# له ذاكرةٌ حَيّة

كان يَمْضي عبر شارع العظام

تحت مطرٍ من ابْتسامات الأشباح

يُخفي جيّداً صرختَه السّرّية

لا يحبّ الحياة كثيراً

لكنّه لا يكرهها

لقد وُلِد ذات يوم اشتدّ فيه الحرُّ

على المجانين

وهو يعيش الآن قرب بركةٍ

يسمعها، أحياناً، تحكي القصص

لجراداتٍ من حَوْلِها

له ذاكرة حيّة: رأى مرّة سيجارةً في

فم عابر بقربه

فتذكّر أنّها السّيجارة نفسُها التي

سبق أن رآها في حلم

يتذكّر أيضاً أنّ جدّته، قبل وفاتها

أوصتهُ خيراً بعلبة النّشوق

التي تعاني من الخَرف

وبالرّياح الفقيرة

والدّجاجاتِ الثّلاث

النّاسكات

# يتمشّى على رمل قديم

دُونَ رغبةٍ منه

تَحوّل، خلال الليل، إلى طائر من نار

وجابَ العديد من الحدائق والحقول

وحدث أن سبّب حريقاً في حقل

تناول به كرزاً

وَخَزه ضميره بِشِدّة في أثناء الليل

لكنّه في الصّباح، جاء إلى مكتبه

في هيئته المعهودة، باستثناء

أصابعه التي كانتْ عُقَلُها

قد أصْبَحتْ جَمَرات!

إنّه يتمشّى، الآن، على رملٍ قديم في ذاكرته

مفكّراً بالظُّلم الذي حاق به

بعد أن انكشفَ أمره

وحكموا عليه بأن يُسْجَن

في قفصه الصّدري

سِنينَ عددا

## أتهيّأ للإبحار

مشيتُ تحتَ صفير غيمة

كانتْ تتلهّى

بتتبّع شريط ذكرياتي

والقرويّة التي كانتْ عشيقتي

ذاتَ يوم في بيدرٍ ما

ظهرتْ بدورها خلف نافذة بعيدة

باسِمةً ومحاطةً بالعصافير

باسِمةً وتنقُر

على طبلة أُذن الريح الرّصينة

يا عشيقتي يا عشيقتي

كوني لي خيمة

على جبل الكهرباء

بهذا رفعتُ عقيرتي وأنا، في غُرفةِ

نَومي، أتهيّأ للإبحار

في كأسٍ غريبة

## وأصبحتُ سيِّدَ السّاهرين

كنتُ صيّادَ سَمك

وكنتُ غنيّاً أو فَلْنَقُلْ

إنّه لم يكنْ ينقصُنِي شَيْء

ثُمَّ ساءتْ أحوالي، بعد أن عشقتُ

حياةَ الليل

بغوانيها بِنبيذِها بِحُرُوبها

وأصبَحْتُ

سيّدَ السّاهرين

وحسِبُوني جُنِنتُ حينَ بدأتُ أُرَى في منتصفاتِ

الليالي

ومعي شِبَاكي التي صِرْتُ أُلْقيها

إلى أعلى، لَعَلّي أصطادُ

ابتساماتِ نُجومٍ

أوْ همهماتِ غيومِ الليل

أوْ حتّى حصاناً مُجَنّحاً لطيفاً

يَحْملني على ظهره

ويَمْضي بي في رحلاتٍ عجيبة

أَقصّ وقائعها، في يوم ما، على أحفادي

القادمين!

قصائد مختارة

**ممّا لمْ يُنْشَر بعدُ في مجموعة**

# على قِمّة جبل

صعدتُ إلى قمّة جبل

ووجدتُني أمام كوخ صغير مُتداع

ذاك كان مسكنَ البرد

وهو يأوي إليه متى يشاء

منذ ما لا عدّ له من القرون

في مرّة قادمة

سأرسمُ لوحة وأعلّقها على بابه

البردُ على عِلّاته يستحقّ منّي

هديّة صغيرة

وها أنا الآن في هذا العلوّ

غير متوجّس من شيء

رغم أنّ أسرابَ عصافير

بدأتْ تُبرق

وجِلدَ هذه الساعة

دبّ فيه التّنمل

رغم أنّ الشّحوب طوّق الأشجار

ونمالاً حمراء كثيرة

امتقع لونُها

وحين شعرتُ بوحشة حقيقيّة

مرّ هيكل عظميّ وحيّاني

أتذكّر صورَته جيداً

أيّامَ كان مكسوّاً باللحم

فقد لعبنا معاً في نفس فريق

كُرة القدم

قال لي لا تُضعْ وقتَك هنا

ليس هنالك فُرجة من أيّ نوع

قالها ورَكل الفراغ بقوّة

وبالفعل فقد كان في الأيّام الخوالي

هدّافاً شهيراً

يركل بقوّة بالقدمين

كما يُحسن ضرب الكرة برأسه الذي

كان يختزن أيضاً عدداً

من أغاني بوب مارلي

# قَبْل الإفطار

شفرةُ الحلاقة تحلم قرب لحيتي
بقطراتٍ من دمي
نملةٌ تسقط من مكان مجهول
على سطح رغوة معجون الحلاقة
هي في ورطة عظيمة لكنّها تحلم
أنّ لها ساعدين قويّين وأنّها
تجذّف وهي على متن قارب
وإذ أشعر أنّها تودّ لو تَنوح
أُسارع إلى إنقاذها
لكنّي حين أزمع البدء في الحلاقة
أسمع زمجرات غضب:
إنّهن البيضات الثّلاث، منفعلات،
فقد تركتهنّ، دون أن أنتبه
في زاوية معرّضة
لتيار الهواء.

# يُسَمّد الحقل...

آثرَ في هذه السّنة أن

يُسَمّد حقلَه بالكلام

ولأنّ له لساناً أصبح لا يكفّ عن الثّرثرة

منذ أن فتنتْه امرأة في السوق الأسبوعيّ

فالحقل سيُخصِب ولا شكّ

والغلّة ستكون عظيمة

حقّاَ، هو لم يكن قد رأى

من تلك المرأة سوى صفّي أسنانها

وبينهما

قطعة بطيخ مديدة

لكنْ سوف يُفعِم الفرح قلبَه بعد الحصاد

وسيكون هنالك عتّالون كُثر

وصَفْقُ أبواب

وسوف ترتفع عقائر بالغناء

وتتنحنح قناديل

وتتساقط ثلوج

على رؤوس نسوة حزينات

كنّ قد أغدقن حبّهن الأموميّ

على قطع سكّر

كانتْ لها حياة

لكنّها لمْ تحترسْ

وذابتْ في كؤوس

# في عربة

أُسافر في عربةٍ عجلاتُها بيضاء
تسلك بنا طريقَ الشّاطئ، وجارتي إذ تغفو
تبدأ التّجاعيد في التّكاثر على وجهها.
حجمُها في تناقص.
أهي حالة شيخوخة مباغتة؟
تتصاعد موسيقى قرب النّافذة التي
أطِلّ منها على البحر.
ثْرلَلّا ثْرلَلّا ثْرلَلّا ثْرلَلّا ثْرلَلّا ثْرلَلّا
موسيقى فلامنكو: آه! كمْ كنتُ معجباً بِلَالُو تيخيدا
لكنّي نسيتُها زمناً ولم أتذكّرْها
إلّا في هذه اللحظة.
جارتي اسمُها علياء وهي طبيبة أطفال.
ذلك أنّنا تعارفنا قليلاً
قبل أن تنام.
قالتْ إنها تحبّ الأغاني الخفيفة
وأن ترشَّ ظلّها في الصّيف
بماء بارد

وأن تُطلّ على المطر

من نافذة في قطار.

# المحتويات

- هذا الكتاب

- قصائد مختارة من "على دَرج المياه العميقة".

- قصائد مختارة من "محفوفاً بأرخبيلات..."

- قصائد مختارة من "راية الهواء"

- قصائد مختارة من "فراشة من هيدروجين"

- قصائد مختارة من "رجل يبتسم للعصافير"

- قصائد مختارة من "عيون طالما سافرتْ"

- قصائد مِمّا لم يُنشَر بعد في مجموعة

# مَنْشورات

# حِبْر

---

للكتاب الإلكتروني


للاتّصال

CONTACT

dar-7ibr@outlook.com

# أستقبل راقصاتٍ شهيراتٍ مِثْل

## الجوكندة

يتضمّن هذا الكتاب مختارات شعريّة من المجموعات التي صَدرتْ، حتّى الآن، لمبارك وساط، مضافةً إليها قصائد له من بين تلك التي لمْ تُنشَرْ بَعدُ في مجموعة. فهذه أنطولوجيا شَخْصِيّة، إذ إنّ الشّاعر هو الذي اختار القصائد المُقَدَّمة في هذا الكتاب.

منشورات

حِبْر